

العادات الاجتماعية في جزائر الدايات

د. أحمد بحري

كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية

- جامعة وهران -

الملخص:

لقد استغل رحالة الأوروبيين الحياة الاجتماعية في عهد الدايات في الجزائر ليشوهوا تاريخ تلك الفترة، والمقال كشف لتلك الادعاءات في هذا الموجز: عاشت المرأة حياتها الاجتماعية والدينية وفق موروثها وثقالتها الدينية والحضاري؛ حيث كانت زوجة محترمة، ولا تنتقل لبیت الزوجية إلا برضاها وبمهرها واحتفال مشهود وزينة ظاهرة ومهر معتبر، وكانت الحياة تتسم بالترفيه الهادف في الأعياد والمناسبات، وهذا لا يعني أنه لا توجد مخالفات بعض الظواهر السلبية والآفات.

الكلمات المفتاحية: العادات، الاجتماعية، المرأة، العرس، الدايات.

مقدمة:

إذا صدّقنا روايات الرحالة الأوروبيين الذين زاروا الجزائر في عهد الدلايات من رجال الدين وقناصل ووكلاء تجارين مثل " لوجي دو تاسي " و " طوماس شاو " و " دي بوا تانفيل " فإن حياة الجزائريين كانت منحطة إلى درجة كبيرة، أما الأسرى الذين كتبوا عن يومياتهم بالجزائر فإن رواياتهم تعتبر الجزائريين مجتمعاً من الوحوش الذين جانبوا طريق الحضارة بعقود من الزمن _ هذا في الغالب _ غير أننا إذا قارناها بما وصل إلينا من كتابات الجزائريين آنذاك وجدنا البون شاسعاً ؛ بل إننا عندما نتفحص كتابات هؤلاء الأوروبيين أنفسهم ونقارنها فيما بينها نكتشف أن حياة الجزائريين لم تكن تختلف بسلباتها وإيجابياتها عن حياة أي مجتمع في دولة آنذاك.

وفيما يلي جملة من العادات التي اتصفت بها حياة الجزائريين في المجال الاجتماعي، وسيوضح من خلال ذلك ما يؤكد فعلاً أنهم لم يكونوا بدعاً من المجتمعات، بل شابهوا في سلوكياتهم غيرهم من المجتمعات المعاصرة لهم.

وإذا كان وضع الجزائر فيه بعض الاختلافات من حيث العادات والسلوكيات، فإن مرد ذلك يعود إلى ظروفها الخاصة ، فلقد اعتبرت الجزائر أرض الجهاد، ومقاومة حركة الاسترداد التي خاضتها الكنيسة؛ في محاولة لاستعادة كل الأراضي الإسلامية التي خضعت في يوم من الأيام إلى سلطة المسيحيين، وإذا اختلفوا عن غيرهم في بعض الجزئيات فإن ذلك من طبيعة التمايز التي خص الله بها البشر.

● العادات الاجتماعية :

يتكلم المؤرخون الأوروبيون في وصفهم للحياة الاجتماعية بالجزائر العثمانية عن بعض الآفات ويهملون الحديث عن الميزات الإيجابية وعن الروابط الحميمة التي اتصف بها المجتمع الجزائري آنذاك . وربما يعود ذلك إلى إغفال المؤرخين الجزائريين الحديث في مؤلفاتهم عن هذا الجانب واهتمامهم بالتأريخ للأحداث السياسية التي عاصروها الشيء الذي أدخل الساحة لغيرهم ممن يرى الأمور بغير أعينهم .

صحيح أن الأوروبيين يصفون كرم سكان البوادي وحسن ضيافتهم وصحيح أيضاً أن جزءاً من الآفات التي يتكلمون عنها كان موجوداً وتكلم عنه المؤرخون الجزائريون أنفسهم غير أن حكم الإطلاق هو الخطأ . كما أن تقييم الظواهر

الاجتماعية بقيم غير القيم التي تحكم المجتمع ذاته ، وإغفال الحديث عن قيمة هذه الظواهر بالنسبة إلى ظروف حدوثها في الزمان والمكان يعتبر خطأ منهجيا كثيرا ما ترتبت عليه أحكام ظالمة ، خاصة فيما يتعلق بحياة المرأة وكذا أحكام الزواج والروابط الاجتماعية بصفة عامة .

وإذا اعترفنا بوجود جملة الآفات المذكورة فإن الموضوعية تقتضي أن نقيس حجمها بالنسبة إلى ما كان شائعا في المجتمعات المجاورة آنذاك ثم أن نقيسها أيضا بقدر شيوعها في المجتمع وننسبتها إلى حجم العلاقات الاجتماعية الأخرى .

● الزواج:

ينقل لنا الشيخ عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري في رحلته¹ صورة عن صيغ عقود الزواج لبنت بكر ثم لأخرى ثيب ، ويظهر من خلال العقدين أن الفرق بين المهرين غير كبير ويفهم من ذلك أن الثيب كانت تتزوج بسهولة ، وأن للبكر اشتراط عدم التزوج عليها أو التسري معها إلا بإذنها وهو ما لم يذكر في عقد زواج الثيب .

وقد ذكر ابن حمادوش هذه المسألة في عقد زواج بكر أخرى² وكيف اشترط في عقدها عدم الزواج عليها أو التسري معها واشترط مقابل ذلك أن يكون على والدها إيواء الزوجين دون أجر مدة الزوجية ، وهي ملاحظات تظهر لنا طبيعة العلاقة الزوجية في ذلك العهد و بعض الظواهر الاجتماعية الموازية لها مثل كتابة العقود بعد الزواج بمدة عندما تتزوج البنت صغيرة السن على طريقة الجماعة كما هو الحال مع أخته التي كتب عقدها سنتين ونصف بعد زواجها³ .

وفي ذكره لاشتراط الزوجات عدم التزوج عليهن أو التسري معهن تكذيب لمزاعم بعض الكتاب الأوروبيين الذين يصفون المجتمع الجزائري آنذاك بالفوضى الجنسية وبيالغون في وصف ما يعرف عندهم بمصطلح الحريم⁴ (harem) أو نساء الرجل وجواريه .

ويلاحظ من مجموع العقود التي أوردها ابن حمادوش أن المهور كانت جد معتبرة وأنها كانت تنقسم إلى مقدّم ومؤخر يدفع بعد انقضاء مدة من الزواج وتضبط هذه المدة بدقة في العقود⁵ .

وذكر المؤلف نموذجا لعقد زواج أندلسيين⁶ يختلف عن سابقه بكونه أثبت في العقد ما وهب كلا الوالدين للعروسين من أملاك كهدية على زفافهما ، ومن خلال هذا العقد يظهر جليا أن الأندلسيين كانوا في حال ميسور ولذلك نجد بعض المغالاة في مهورهم وهو ما قد يفسر لنا ارتفاع المهور في بعض المدن الجزائرية اليوم أمثال تلمسان وغيرها ربما لكون المدينة إحدى محطات الأندلسيين الكبرى في الجزائر في ذلك العهد.

ويعتبر الحمام المكان المناسب لاختيار الزوجات للأبناء والإخوة لأن التقاليد الإسلامية كانت تمنع اختلاط الرجال بالنساء زيادة على أن الشكل العمراني كان يسمح للمرأة بأن تنتقل عبر سطوح المباني إلى كل أنحاء المدينة من غير أن يراها الرجال⁷ بل وحتى اللواتي تدفعهن الضرورة إلى الخروج فإن الحجاب الذي ترتدينه يمنع الاطلاع على جماهن ، وبالتالي كان الحمام هو المكان الوحيد الذي تلتقي فيه النساء مرة كل أسبوع على الأقل، وغالبا ما يكون الموضوع الأساسي للمناقشة هو اختيار زوجات مناسبات ؛ إذ يذكر "وليم سينسر" أن هذا اللقاء الأسبوعي لا يمثل تنظيفا تقليديا فقط ولكنه يعتبر

" نوعا من إظهار الأزياء إلى جانب تبادل الأخبار العائلية وفي مثل هذه المناسبات تعرض الثروة العائلية ، فرما لبست بورجوازيات مدينة الجزائر [وغيرها من المدن الجزائرية] أشرطة ثقيلة الوزن من الذهب حول الوسط والعنق... وهناك قطعة من الحلبي كان قد شاع استعمالها في شكل ماسة أو كرة ذهبية توضع عند نهاية سلسلة ذهبية وذلك علامة اعتماد المرأة على زوجها"⁸.

وإذا كان الاتفاق على الزواج يتم مبدئيا في هذه الحمامات إلا أن الزواج كان يحكمه دستوره الخاص والمقدس الذي يراعى فيه جانب الترفيه والسياسة والاقتصاد والسلوك الاجتماعي زيادة على الأعراف والتقاليد ، هذه الأخيرة التي غالبا ما يتقدمها استمرار الارتباط العرقي الذي تفرضه العصبية.⁹

ويصف لوكيل يوسف كيفية إعلان عقد قران بين عائلتين مازونيتين ، إذ وبعد الانتهاء من إبرام العقد ، تنطلق نسوة تتقدمهم والدة العروس أو إحدى قريباتها ؛ ويتبعهم لقيف من الفتيات الصغيرات تلبسن أحسن الثياب ، وتزين بالحلبي ،

وتطرق أبواب منازل المدينة ، معلّنة الخبر السعيد للأقارب والأحباب ، وتدعين عائلات المدينة للمشاركة في حفلة الحناء التي تعقد في بيت العروس في نفس اليوم الذي عقد فيه القران ، كل ذلك يرافقه زغاريد النساء وطلقات البارود¹⁰.

وفي مساء نفس اليوم ، وبعد الانتهاء من إطعام المدعوين إلى مأدبة الغداء ؛ تباشر النساء طقوسهن الخاصة بحفلة الحناء ، بحيث تحمل امرأة قوية البنية العروس على ظهرها وسط المدعوات ، ثم تضعها على كرسي ليراها الجميع ، وتقوم أسن النساء برفع نقابها عن وجهها ، ثم تزين يدها بالحناء ، بعد أن تضع في يدها اليمنى قطعة ذهبية ، جلبا للحظ السعيد¹¹.

وقد تمتاز مدن الجزائر عن باديتها بارتفاع عدد الذكور نظرا لتواجد الأوجاق بها وكذا جماعات البرانية الذين يدخلونها بحثا عن عمل ، وقد يكون هذا أحد الأسباب التي تسمح للمرأة باشتراط عدم التعدد أو التسري بغيرها إلا بإذنها كما سبق الذكر.

وهناك ظاهرة اجتماعية تابعة لمسألة الزواج عرفتها مدن الجزائر وهي ظاهرة التوسط ، وتمثله غالبا امرأة مسنة تربطها علاقة قرابة أو صداقة بالعائلتين المتصاهرتين، ونظرا لحياة التكنم والحشمة التي تطبع حياة المرأة في العالم الإسلامي فإن دور تلك النسوة كان ذا قيمة كبيرة إذ كن يجبن الديار يستطلعن أخبار الفتيات اللاتي بلغن سن الزواج كما ينقلن الأخبار الأصهار الاجتماعية والاقتصادية¹².

ولذلك فإنهن كن يفزن بجائزة معتبرة في حال نجاح الوساطة ولا زالت هذه الظاهرة مستمرة إلى اليوم غير أن حدتها قلت نظرا لتطور الحياة وخروج المرأة من تلك العزلة .

وتقام حفلات الزواج تبعا للمكانة الاجتماعية والاقتصادية للعائلات المتصاهرة فإذا كان زواج الريفين بسيطا يطبعه مشهد واحد يجمع الزوجين ويحمل كل منهما إلى شفتي الآخر كأسا من الحليب، فإن الزواج عند العائلات الحضرية أو الكرغلية يدوم أسبوعا كاملا تتخلله مجموعة من المراسيم يذكر " بانانتي ، pananti" جزءا منها قائلا :

" يتجول الزوج بضعة أيام قبل الحفل في نواحي المدينة على أصوات الطبول والمزمار... وفي يوم الزواج يقوم بجولة أخرى مرتديا جلبابا أحمر وبجانبه سيف رفيع . كما يوجد خمار ملقي على وجهه للحيلولة دون تأثير عين الشيطان وخلال الثلاثة أيام التي يجري فيها الاحتفال يأخذ العريس إلى الحمام حتى اليوم الذي يتم فيه الزواج وفي ذلك اليوم يجتمع الأصدقاء والأقرباء فيقوم العريس بالصلاة بمحضرهم وينصرف بعدها ليلتحق بالزوجة في بيتها، وهنا يعلن عن أنهما زوجان لبعضهما بواسطة بعض الصلوات التي يقوم بها الزوج والأئمة..."¹³.

والمقصود بالصلوات في نص بانانتي هو عقد القران أو ما يعرف عندنا بقراءة الفاتحة والذي تصبح الزوجة بعده حالالا لزوجها شرعا تنتقل بعدها الزوجة إلى دار زوجها على ظهر حصان مزين بالهودج يرافقها ركب من الأهل والأصدقاء في موكب بهيج يحملون المشاعل والمزامير وقرعون الطبول وعند وصولها إلى باب الدار تؤخذ بعناية شديدة كي لا تطأ قدمها الأرض الشيء الذي يعتبر فألا سيئا عندهم.¹⁴

● المرأة:

يعتبر الأوروبيون مجتمع الجزائر في العهد العثماني عامة مجتمعا رجاليا لا دور للمرأة فيه، ففي الوقت الذي يقوم فيه الرجل بمختلف الأعمال السياسية والاجتماعية والدينية وغيرها، يقتصر عمل المرأة على غسل الأواني ونفض الزرابي والأفرشة وتحضير الطعام ولمواجهة هذه الأعباء كانت النساء ترتدين ملابس بسيطة تساعد الأمهات على إرضاع أطفالهن رضاعة طبيعية ولمدة تتجاوز الثلاث إلى أربع سنوات أحيانا ، أما أرجلهن وسيقانهم فتبقى عارية لا تسترها سوى فوطة مخططة معقودة من الأمام.

ولكي تخرج المرأة المسلمة عليها أن تستر وجهها عدا العينين بمنديل مربع أو مثلث تعقده في القفا ثم تضع على كتفيها لحافا يربط في مقدمه يعين على تدعيم سترة الثياب التي غالبا ما تكون خفيفة وغير ساترة ثم تحيط المرأة نفسها بحايك من الصوف الخفيف أو من الحرير أو القطن يسمى بـ " فوطة نتاع السنانيق "¹⁵.

وعلى عكس ما يرى "بوايي" فإن المؤرخ الألماني " فيلهلم شيمبر " يرى

" أن المرأة تعيش كالسجينة تقريبا، وليس مرد ذلك إلى غيرة زوجها، وإنما مرده إلى العادة المتبعة. فالرجل الجزائري ليس غيورا جدا بل هو في غيرته لا يختلف عن أي إنسان ينتمي إلى شعب آخر. وإن هو وجد رجلا في بيته، فإن تصرفه في هذه الحالة لا يختلف عن تصرف رجل ألماني مثلا"¹⁶.

والجدير بالذكر أن الأسرة الجزائرية لم يختلف فيها وضع المرأة كثيرا عن بقية الشعوب الأخرى، ففي حديث " فيلهلم شيمبر " عن الأسرة والسعادة التي تسود حياتها المنزلية يقول:

" وقد أتيت لي أن أراقب أسرة كانت تسكن بجواري . فحين يعود الرجل إلى البيت تستقبله الزوجة معانقة إياه مقبلة ، وتجلسه قربها فوق الأريكة وتحدثه ويحدثها. ويسرع الأطفال كذلك إلى أبيهم فرحين، فيضمهم إلى صدره في حنان وحب، ويأخذ في مداعبتهم ..."¹⁷.

وفي هذا الكلام تكذيب قاطع لمن ادعى أن رباط الزوجية لا قيمة له، وأن للرجل حق التخلص من المرأة إن هو قدر عدم صلاحيتها له، وأنه لا وجود للمحبة بين الزوجين وإنما هناك العلاقة الجنسية.

وفي العائلات الغنية يعتبر الاهتمام بثياب المرأة ومظهرها أهم عمل بالنسبة لها ، ولذلك فإن الوقت الذي تصرفه النساء الغنيات للاهتمام بأشكالهن لا يحسب عندهن، غير أن عقاير الزينة هي الحناء والكحل .

وإن كانت النساء الجزائريات لا تستعملن مساحيق التجميل الأخرى التي تشتهر عند الأوروبيات فليس لأن هذه المساحيق كانت مجهولة في الجزائر بل لأن الأذواق كانت تفضل هذه الوسائل البسيطة والتقليدية .

ولهذا الاختيار ما يبرره فقد شهد " شالير " بأن المرأة الجزائرية قادرة على منافسة نساء أي بلد آخر في العالم (في الجمال) وما يميز جمالهن هو العيون والحواجب والأسنان¹⁸. وهي المواضع التي تركز عليها النساء الجزائريات في تجميلهن باستعمال الكحل للعيون والسواك أو ما يعرف محليا بالمسواك للأسنان فإن هذا الأخير ينقي الأسنان ويزيد في صفائها كما يعطي للثة الفم لونا برتقاليا براقا¹⁹.

• وسائل الترفيه:

يروي كثير من الأوروبيين — الذين زاروا الجزائر في العهد العثماني — في مؤلفاتهم أن زائرها لا يجد أي متعة لأن الحياة في مدنها مملة من كثرة رتابتها وقلة وسائل الترفيه عند الجزائريين ، ولكن الحقيقة بعيدة عن ذلك كل البعد وربما يعود هذا الحكم كما يرى بوابي²⁰ إلى غياب العنصر النسوي في وسائل الترفيه كون البيئة الإسلامية تفرض عدم خروج المرأة واختلاطها بالرجال إلا لضرورة بخلاف الأمر في المجتمعات الغربية .

ويعتبر المقهى أهم مؤسسة ترفيه لسكان المدينة ويكون في الغالب تحت إدارة أحد الأعالج أو الأرقاء المسيحيين الذين يدفعون للبايليك جزءا من الفائدة. وتقدم فيه القهوة والشاي، لكن أهم ما يجتمع عليه في المقهى هو مقابلات لعبة (الدامة) وعروض (القرقوز). كما تقوم الفرق الموسيقية بتقديم وصلات تطرب بها الحضور. ولقد اختلفت المناسبات التي تقوم فيها هذه الفرق بعروضها من حفلات زفاف وختان إلى احتفالات بتولية داي جديد أو بقدوم باي من البايات يحمل دنوش بايلكه إلى الخزينة أو انتصار كبير على الأعداء وغير ذلك. وكانت السلطة السياسية تجازي هؤلاء الموسيقيين بالهدايا في هذه المناسبات الأمر الذي جعل الكثيرين من العوام رجالا ونساء يهتمون بعزف الموسيقى زيادة على الفرق العسكرية التي تعرف موسيقاها بـ "النوبة"²¹.

ومن الأماكن التي يجتمع فيها عدد كبير من الناس الحمامات الجزائرية التي اتفق الزوار الأوروبيون على مدحها ووصف دوام الجزائريين على زيارتها للاغتسال وهو ما جعل الكثير من الكتاب الأوروبيين يشيدون باهتمام المسلمين بمسألة النظافة في هذه الحمامات²².

أما رياضة المصارعة فهي من الرياضات التي يهتم بها الجزائريون كثيرا والتي يجتمع على مقابلاتها التي تجرى في ميدان خاص ويحضرها عدد لا بأس به من المشاهدين، وقد وصل الكثير من الأوروبيين هذه المقابلات وعلقوا على مهارة المتصارعين الذين لا يغفلون مناسبة دون المشاركة بعروضهم في اتحاد الجماهير.²³

● الآفات الاجتماعية:

من مميزات المدينة الجزائرية هو وجود نسبة كبيرة من العزاب الذكور على خلاف المدن الإسلامية إذ الأصل في العالم الإسلامي هو الزواج المبكر غير أن الظروف السياسية والاجتماعية فرضت هذا الوضع الشاذ فقد فرض على البرانية القادمون إلى المدن وضع العزوبة كونهم غير قادرين على استقدام زوجاتهم إلى المدينة ولاهم قادرين على الزواج من بنات المدينة نظرا للحاجز الطبقي، كما فرض نفس الوضع على الزوج والأسرى المسيحيين الذين كانت أعدادهم كما سبق غير ثابتة لكنها في الغالب كبيرة.

وإذا كان هذا الوضع مفروضا على هاتين الفئتين فإنه بالنسبة لفرق الأوجاق وضع اختياري، اختاره العثمانيون الذين يستقدمون إلى الجزائر مخافة أن يفقدوا سلطاتهم وامتيازاتهم خاصة بعد محاولة الكراغلة مناجزتهم عليها فأصبح الدايات يحاولون منع تزوج الأوجاق من الجزائريات بشق الطرق ويضعون في سبيل هذه الزيجات مجموعة من المنبطات منها منع الوجبة اليومية من الأكل ومنعهم حق الإيواء في القشلات.

ولقد ولد هذا الاختلال الاجتماعي جملة من الآفات أهمها ظاهرة اللواط لدى جماعة البولداش وشيوع الزنا في المدن . وقد ركز الرواة العربيون وخاصة القناصل على ظاهرة اللواط عند الجنود الانكشارية إما تصريحاً كما هو الحال عند بوايي²⁴ أو تلميحاً كما عند لوجي دو تاسي²⁵.

وإذا كان اللواط ظاهرة كتب عنها الأجانب فقط فإن ظاهرة الزنا قد تكلم عنها حتى المؤلفون العرب كالزهار الذي أورد أن أول الأعمال الخسيسة لحسين داي آخر دايات الجزائر هو بناءه لحارة خاصة بالمومسات يرتادها جنود الانكشارية²⁶.

إن الكثير من المؤرخين الأوربيين يعتبر أن عدد هاته المومسات كان قريبا من 3000 في مدينة الجزائر وحدها وهو رقم مبالغ فيه لاحتمال وقد استنتج بوايي أن عدد البغايا كان مرتفعا من خلال السعر المنخفض الذي كن يتقاضينه غير أنه لم يحدد عددهن²⁷.

ويعلق الدكتور سبنسر على هاتين الظاهرتين بقوله:

"... فبالرغم مما كان يشاع من ولع أعضاء الأوجاق بالصغار وخاصة اليهود أكثر من ولعهم بالفتيات وتركهم هن في كثير من الأحيان فإن ما غمك عليه من الوثائق كان فقط هو تواجد البغايا غير التركيات اللاتي احتفظن بجنسهن لإمتاع العزب من اليولداش وقد كانت تحت إشراف المزور وكن مراقبات بشدة ويفتشن بانتظام. ومطلوب منهن أن يعشن في حي مدني خاص محجوز ومقفل على القادمين من خارجه وقبل زيارة الحي من قبل الزبون كان عليه أن يقدم طلبا إلى المزور يذكر فيه السعر الذي يستطيع الدخول على أساسه ويحدد اليوم الذي يريد الدخول فيه..."²⁸

ومن تعليق سينسر يتضح أولا أنّ وجود الشذوذ كان مسألة عارضة لم تشبها الوثائق وربما حدث بصورة انعزالية أمام أحد الأسرى فأقام حولها الرواة الأوروبيون الأساطير كما هو الحال مع أي مسألة من شأنها أن تشين إلى الوجود العثماني بالجزائر.

كما يتضح أن البغاء كان محدودا ومراقبا من قبل السلطة بالشكل الذي يستحيل معه أن يكون الزنا ظاهرة متفشية في المجتمع لا يكاد يسلم منه رجل أو امرأة كما يزعم بوايي.²⁹

إن هذه السلطة المتهمة ذاتها كثيرا ما سعت إلى محاربة هذه الظاهرة في عهد بعض الدايات المصلحين مثل علي خوجة الذي يقول عنه الزهار:

"... ثم إنه أمر بإبطال الزنا و الخمر ومن وجدوه مخمورا أو زانيا فيبعث به للقاضي لإجراء الحد الشرعي وأمر الناس بالصلاة مع الجماعة ونادى مناديه أنه من يبقى بدكانه بعد الآذان فلا يلوم لإنفسه."³⁰

لقد كان النظام العام للدولة يفرض على الجنود ألا يقوموا بتجاوزات على الملأ احتراماً للشعور العام وللمبادئ الإسلامية وإذا كانت الحكومة تسمح بوجود بعض المواقف التي يديرها اليهود غالبا فذلك حتى تمنع شغب الجنود الذين تدفعهم حياة العزوبة التي اختارها الأتراك حفاظا على امتيازاتهم السياسية إلى التعدي على حرمان السكان ويعلق شالير على ذلك قائلا:

"وإذا كان الأتراك يراعون حسن السلوك ويحترمون تعاليم الدين التزاما مبدأ سياسيا فإن التجربة أثبتت أن هذا لا يمنعهم من التحلل أحيانا والميل إلى المجون

الذي يميز الجنود في كل مكان وتبعاً لذلك فإن الحكومة تسمح بفتح المواخير ... وكل ما من شأنه أن لا يؤدي إلى تعكير الهدوء السياسي ويسمح في نفس الوقت بإنعاش كبرياء الانكشاري وزهوه تطبيقه الحكومة بدون تردد...³¹

ومن الآفات التي عرفت الجزائر في عهد الدايات ظاهرة الرشوة وهي ظاهرة ولدت مع عهد الباشاوات فقد كان هؤلاء يشترون مناصبهم رشوة من الباب العالي ولكن في عهد الدايات وعندما شحت مصادر الدخل في الأيالة نظراً لتقلص نشاط القرصنة وضعف الموارد البحرية أصبحت الرشوة واحدة من المصادر الثابتة إذ كل المناصب أصبحت عرضة للبيع كما كثرت المناصب فأصبح لكل نشاط يمكن أن يدر ربحاً ما خوجة مسؤولاً عنه وبطبيعة الحال يباع هذا المنصب رشوة لمن يمكنه الدفع والذي بدوره يأخذ رشوة ممن هم تحت سلطة منصبه الجديد ليستعيد ما خسره في سبيل الحصول على ذلك المنصب.

ويذكر ابن حمادوش صورة أخرى من صور هذا الفساد وإن لم تكن دفع رشوة مالا فهي استعمال النفوذ والمحسوبية إذ يقول :

"... وكان لي تلميذ، ابن عمي، يصطحب مع خوجة الملح [مدير الجمارك] وكان إذ ذاك عالج الباشا ابراهيم، طلبت منه أن يطلب من صاحبه إجازة سلعتي، فنزل إليه وجلس عنده حتى وجهتها له هنا، فأدخلها مخزنه وبعثها مع أحد خدامه فلم يمسه صاحب الباب فسلمت من المكس."³²

ويذكر الورتلاني هو الآخر في رحلته أخباراً عن انتشار الرشوة ويشدد في الوعيد لمن يقدمها ابتغاء الحصول على ولاية من الولايات كالقضاء والافتاء ويخبر عن أبيه أنه كان لا يصلي خلف مثل هؤلاء.³³

الهوامش:

- (1) عبد الرزاق بن حمادوش ، رحلة بن حمادوش الجزائري، تحقيق وتقديم د/ أبو القاسم سعد الله،(الجزائر: الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع ،1983)، ص 238.
- (2) نفس المصدر، ص 241.
- (3) نفس المصدر، ص 244.
- (4) **Pierre Boyer, la vie quotidienne à Alger à la veille de l'intervention française ,Ed hachette. Imp national. Monaco,1964,p226.**
(5) عبد الرزاق بن حمادوش، مصدر سابق ، ص 238 وما يليها.
- (6) نفس المصدر، ص ص 246-248
- (7) يذكر دو تاسي معلقا على طبيعة البناء أنه لا وجود لا إلى الحدائق ولا إلى ساحات عمومية ، بل إن البنايات متراصة فيما بينها بشكل يجعل سطوحها متصلة فيما بينها بالشكل الذي يسمح لك بأن تطوف على المدينة دون أن تضطر للنزول إلى الشارع وهذه الأسطح سالمة من اللصوص أو الغرباء لأن من يرتادها منهم فقد حكم على نفسه بالهوت، أنظر :
- De Tassy , Histoire du royaume d'Alger ,ed Loysel, Paris, 1992, p105.**
(8) وليم سبنسر ، الجزائر في عهد رياس البحر ، تعليق وتعريب د . عبد القادر زبادية ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1980 م ، ص 91 .
- (9) نفس المرجع، ص 97.
- (10) **Loukil youcef , Mazouna ancienne capitale du Dahra Alger : imprimerie algérienne , 1912, p : 32 .**
- (11) **ibid , p : 33 .**
- (12) وليم سبنسر ، مرجع سابق، ص ص 97-98.
- (13) نفس المرجع ، ص 98.
- (14) **Laugier De Tassy,op cit, pp 47-48**
- (15) **P Boyer, op cit, p159.**

- (16) أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان 1830-1855، (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1989)، ص 13.
- (17) نفس المرجع، ص 12.
- (18) وليام شالير، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1816 _ 1824 تعريب وتعليق إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 79.
- (19) P Boyer, op cit, p159
- (20) P Boyer, op cit, p114.
- (21) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 455.
- (22) ج، ب، وولف، الجزائر وأوروبا، ترجمة د/أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 152.
- (23) وليم سبنسر، مرجع سابق، ص 103.
- (24) p Boyer , op cit , pp227-228.
- (25) Laugier De Tassy,op cit, pp79-80.
- (26) أحمد الشريف الزهار، مذكرات أحمد الشريف الزهار، تحقيق أحمد توفيق المدني، ط2 الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص 144.
- (27) p Boyer , op cit , p228.
- (28) وليم سبنسر، مرجع سابق، ص ص 99-100.
- (29) p Boyer , op cit , pp229-230.
- (30) الزهار، مصدر سابق، ص 136.
- (31) شالير، مصدر سابق، ص 55.
- (32) ابن حمادوش، مصدر سابق، ص 114.
- (33) الورتلاني، مصدر سابق، ص 111.